(47) Apoleius, apol., trad. Walette, 1924.
(48) Gsell, op. cit., pp. 405--431.
(49) Lassere, op. cit., pp. 430-431.
(50) Ibid, pp. 432-433.
(51) Gsell, op. cit., p. 398.
(52) Picard, op. cit., p. 150.
(53) Lassere, op. cit., pp. 341-342.
(54) Merlin, le temple d'Apollon à bulla regia, 1922, pp. 10-11 — fig. 374.
(55) Gsell, op. cit., pp. 406-412; Remandon, La crise de l'empire romaine, 1964, p. 180.
(56) Gsell op. cit., p. 403.
(57) Ibid, p. 407.

المجتمع الحرفي للشرق الجزائري
قبل العهد الروماني
من خلال نقوش منطقة الحفرة

مصطفى الألفي

تنقسم هذه الدراسة الى قسمين، قسم يعالج الوثائق المتعلقة بمنطقة الشرق الجزائري وعلاقتها بقرطاجة، وقسم يعالج علاقة روما بقرطاجة وبالشرق الجزائري، من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الأول قبل الميلاد.

فمدينة كيرتا (قسنطينة) تعتبر من أغنى مدن الجزائر التي أخرجت آثارا بونية. فلقد كانت عاصمة للمملكة النوميدية وملكها ماساناسا، وقصص المكتشفات الأثرية فيها عديدة، فيرجع تاريخ أولها الى سنة 1875م، وقد عثر على حوالي مائة وخمسين لوحة جنائزية كتبت بالبونية ودفنت في باطن الأرض على عمق 30ـ40 سم، وكان المكتشف هو (لازار كوستا)، ثم أرسلت هذه اللوحات الى متحف اللوفر بباريس حيث ظلت منسية في مخازنه ولم تنشر نشرا علميا الى أن قررت أخيرا وزارة الثقافة الفرنسية ان تعهد بنشرها لأحد المتخصصين في البونية وهو الاستاذ موريس سانيزر Sanyzer .

وثاني الاكتشافات تم في منطقة الحفرة في سنة 1950 وذلك بطريق الصدفة في أثناء حفر أساس مرآب لمصانع (رينو) في قسنطينة حيث عثر على مجموعة من اللوحات البونية يبلغ عددها سبعمائة لوحة نقلت الى متحف قسنطينة، وهناك عثر على معبد صغير تبلغ أبعاده 32/26 مترا، وقام بنشره كل من شارلييه وبرتييه في كتابهما

المعروف عن الحفرة Le sanctuaire punique d'el Hofra à Constantine ثم أشار اليه أندريه برتيبه مرة ثانية في كتابه الأخير بعنوان : La numidie, Rome et le Maghreb وكذلك أشار اليه العلماء الالمان في كتابهم الأخير بعنوان Die Numider ، وهو معبد صغير يشبه في تخطيطه معبد آخر للربة (تانيت) اكتشف في تاروس في جزيرة سردينيا في سنة 1956 ونشره باريكا في كتابه : Tharros ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس ق.م.

والكشف الثالث تم في سنة 1960 في منطقة سيدي مسيد، حيث كشفت ادارة المياه والغابات في الضفة الغربية من وادي الرمال عن حي سكني كامل وعدد من الخزف والزجاج الملون والمشاعل الاغريقية والأواني الفخارية من رودس. وقد قام برتيبه بنشر هذه الاثار.

والكشف الرابع تم في سنة 1974 في منطقة المنصورة حيث كشف عن مقبرة بونية وتم نقل معظم آثارها الى المتحف المحلي لمدينة قسنطينة وكذلك في منطقة سيدي مبروك والخروب وغيرها من ضواحي هذه المدينة.

ومن خلال قراءاتي لنصوص بعض هذه اللوحات التي كتبت باللغة البونية وجدت أن الباحث يستطيع أن يأخذ فكرة عن تكوين المجتمع القديم لهذه المدينة فيما بين القرن الثالث والأول ق.م. اذا ما درس بدقة هذه الثروة المدفونة في مخازن المتاحف. فمثلا وجدت لقب قائد الجيش ومفتش الشرطة على اللوحة رقم 41 السطر الثاني من كتاب نصوص الحفرة لبرتيبه، حيث حمل هذا اللقب أشخاص يحملون أسماء سامية، مثل (بدعشتار) و(ماجون) و(اريس) و(بد ملقارت)، وهي أسماء يدخل في تركيبها أسماء بعض المعبودات الفينيقية مثل عشتارت وملقارت كما نقابل في هذه النصوص البنائين والنجارين (النص 42 في نهاية السطر الثاني)، ومنهم الفخراني أو صانع التماثيل النص 48. والمقصود هنا صانع التماثيل الصغيرة المصنوعة من الفخار، كذلك نجد على هذه النصب مهنة (صانع النسيج) النص 50 السطر الثاني.

كما عاش في ذلك المجتمع القديم الكاهن والكاهنة وكبير الكهنة وكبيرة الكاهنات (النصوص 65_69، 71، 177، 235). ومن الغريب أن نفس اللفظ

القديم () ما زال مستعملا في لغتنا في كلمة (كاهن) للدلالة على رجل الدين في اللغة العربية أو الفرنسية (Le . La) ، حيث أن الهاء هي أداة التعريف في اللغة البونية، ومن هؤلاء نذكر حميلكات وعزربعل وعبد ملقارت وبدعشتارت ومتان اليم وعبد اشمون وحنيبعل واريسات.

كذلك نجد في هذه السلسلة من النصوص البونية بعض الألقاب العسكرية ، فنعلم ان هناك وحدات كانت تتكون من ألف جندي يرأسها قائد يدعى رئيس الألف جندي أو حرفيا () النص 88، الأمر الذي يذكرنا بتاريخ المماليك والعثمانيين حيث نقابل في رتبهم العسكرية ألقاب يوزباشي وبمباشي وأميرالاي الخ. من الألقاب العسكرية التي تعني في اللغة التركية رئيس العشرة ورئيس المائة ورئيس الألف جندي.. الخ.

وكبقية المجتمعات كان يعيش في هذا المجتمع القديم في قسنطينة المثقفون، فنقابل لقب الكاتب (النص 90، 91)، حيث نرى الكاتب الذي يدعى (بعل ياتون) والكتبة (عبد اشمون، وماجون، وبدملقارت) وكانوا يتبعون هيئة القضاء برئاسة (شوفيط) أو القاضي. كما عاش بينهم الأطباء (النص 92، 95) وان كان عددهم قليلا مما يدل على ندرة هذه الوظيفة، فكان اسم الطبيب الأول بعل حنا بن حملك واسم الطبيب الثاني نجارين بعل شلاك. ونجد أيضا مهنة المترجم في النص 163 () على الرغم من قلة الأدب البوني الذي تحدثنا عنه المصادر الكلاسيكية. فقد ذكر لنا (أبيانوس) ان ابن الملك ماسانا سا قد تسلم من (سكيبيو الأميلي) الروماني الأصل نسخ من الكتب التي تم انقاذها من حريق قرطاجة سنة 146 ق.م. في نهاية الحرب البونية الثالثة.*

وعاش في ذلك المجتمع القديم حرفيون مختلفون منهم النقاشون (النص 94) والنجارون (النص 97) وصانعو الأقواس والسهام (النص 100).

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن عدد ما خلفه لنا هذا المجتمع البوني من آثار كتبت

*G. Camps, «Les Numides et la civilisation punique», ap. Antiquités africaines, t. 14 (1979), p. 48.

باللغة البونية يفوق بكثير ما خلفه لنا من عاش بينهم من اغريق، فعدد ما عثر عليه من آثار ونصب كتبت بالاغريقية لا يزيد على سبعة عشر لوحة من مجموع سبعمائة لوحة، أي ان عدد الاغريق كان قليلا بالنسبة للسكان الذين يتكلمون البونية ولا يشكلون جالية خطيرة ومهمة كما يدعي بعض الزملاء.

واذا ما انتقلنا الى بعض المصادر الكلاسيكية مثل بوليبيوس فسنجد نصا للمعاهدة التي وقعها (حنا بعل) القرطاجي مع فيليب المقدوني يقول «لقد أقسم (حنابعل) القائد العام وكذلك ماجون وميركانوس وباروموكاروس وكل قضاة قرطاجة الموجودية الى جانبه وكل القرطاجيين الذين يخدمون في الجيش وبين يدي كسينوفانيس ابن كليوماخوس من أثينا الذي أرسله لنا كسفير الملك فيليب ابن ديمتريوس باسمه وباسم المقدونيين وحلفائه وامام زيوس وهيرا وابوللو وأمام الأرواح الشريرة لقرطاجة وامام هيراكليس ويولاوس وامام اريس وتريتون وبوسايدون وامام الالهة التي تصاحب الجيش بالاضافة الى هليوس وسليني وجي وامام الانهار والموانئ والبحار وامام كل المعبودات التي تحمي قرطاجة ومقدونيا وبقية بلاد الاغريق وامام كل المعبودات التي تشرف على الحملة تجعلهم شهودا على هذا القسم، لقد قال (حنا بعل) القائد الأعلى وكذلك جميع زعماء قرطاجة وكل القرطاجيين الذين كانوا يخدمون معه قالوا أما فيما يخص ما سنقرره نحن وأنتم فاننا نعلن هذا القسم ضمانا للصداقة والرغبة الخالصة ونقسم ان نكون أصدقاء بل اقارب واخوة بالشروط التالية:

أن يقدم العون للشعب القرطاجي كل من الملك فيليب والمقدونيين وكل الاغريق الآخرين الذين يتحالفون معهم ويقدمون العون لقائدهم حنا بعل وكل من يخدم معه وكل من يحالف القرطاجيين الذين يطبقون نفس قوانينهم وفي مدينة أتيكة وجميع المدن وكل الشعوب الخاضعة للقرطاجيين وجنودنا وحلفائنا وكل المدن وكل الشعوب وكل المدن وايطاليا وفرنسا وليجوريا الذين هم اصدقاؤنا وكل من في هذه البلاد ممن يرغب في صداقتنا ومحالفتنا، كذلك فان الملك فيليب والمقدونيين والآخرين من حلفائهم من الاغريق يمكنهم أن يعتمدوا على مساعدة وعون القرطاجيين الذين يخدمون في الحملة وان يعتمدوا على مواطني مدينة أتيكة وكل المدن والشعوب الخاضعة لقرطاجة وحلفائها وجنودها وكل بلاد ومدن ايطاليا وفرنسا

وليجوريا المتحلفين معهم وكل من يرغب في أن يصبح حليفا من هذه البلاد.

«فنحن لا نبحث عن المضايقات لبعضنا ولا ننصب الشراك لبعضنا ونعلن من كل قولبنا وبكل رغبة صادقة بدون خداع ولا خيانة اننا سنصبح أعداء لكل من يعادي القرطاجيين ويحاربهم باستثناء الملوك والمدن والشعوب التي تربطكم بها روابط صداقة وتحالف ونحن بالمثل نقف ضد كل من يعلن الحرب على الملك فيليب عدا الملوك والمدن والشعوب التي تربطنا بها روابط صداقة أو تحالف.

«وأنتم ستصبحون حلفاءنا في الحرب التي سنعلنها على الرومان حتى تمنحنا الالهة النصر وسوف تقدمون لنا العون اذا ما احتجنا اليه وحسب ما هو متفق عليه بيننا وعندما تهبنا الالهة النصر في الحرب مع الرومان وحلفائهم واذا ما طلب الرومان أن نتحالف معهم فسوف نفعل مع مراعاة ما يخصكم في هذه المعاهدة بالشروط التالية :

ـ أن يمنع الرومان من رفع السلاح في وجهكم وأن يتنازلوا عن امتلاك كوركير وابوللونيا وابيدامنينا وديمالي وبلاد البارثيين واثيناتي وأن يردوا لديمتريوس من فاروس كل أصدقائه ممن هم في حوزة السلطات الرومانية، واذا ما دخل الرومان في حرب ضدنا أو ضدكم فسوف نتبادل المساعدات العسكرية التي يمكننا تقديمها والتي يحتاج اليها كل منا، وسوف نفعل بالمثل في حالة اذا ما حدث ودخل آخرون في حرب ضدكم أو ضدنا الا اذا كانوا ملوكا أو أمما أو مدنا متحالفة معنا ومعكم أو ترتبط بروابط الصداقة.

واذا ما وجدنا من الضروري أن نضيف شيئا أو نفسره في نصوص هذه المعاهدة فلن نفعل ذلك الا بعد موافقتكم وموافقتنا».

ومن المعروف أن الملك فيليب هذا الذي تشير اليه هذه المعاهدة هو فيليب الخامس الذي تحالف مع حنا بعل القرطاجي سنة 217 ق.م. وكان مندوب فيليب هو كسينوفان ليوقع على هذه المعاهدة مع حنا بعل وبمقتضاها بعد الهجوم على سواحل ايطاليا تصبح كل مدنها وروما ملكا لحنا بعل والقرطاجيين، وبعد ذلك يتجه القرطاجيون لاخضاع خصوم فيليب المقدوني حتى تصبح بلاد الاغريق ملكا لفيليب. وبعد أن زار مندوبو قرطاجة وهم جيسجون وبوستار وماجون معبد (جونون

لاسينيا) وغادرا البلاد للعودة الى حنا بعل اذا بأسطول روماني يتعقبهم في عرض البحر ويأسرهم، فأسروا (كسينوفان) مندوب فيليب الذي ادعى ان ملكه أرسله للتفاوض مع الرومان كما تم استجواب مندوبي حنا بعل فعثروا معهم على خطاب حنا بعل الى فيليب ومضمون المعاهدة[1] فأرسلوهم الى روما كل في سفينة بمفرده في حراسة لوكيوس فاليريوس انتياس، حتى لا يتكلم أحدهم الى الآخر. علما بأن هذا التوضيح علمناه من تيتوس الفقرة 34 في كتابه.

ونلاحظ كذلك وجود تشابه بين مقدمة هذه المعاهدة ومقدمة تلك المعاهدة التي وقعها الملك المصري رمسيس الثاني[2] مع خاتوسيل الثالث ملك الحيثيين من حيث اشهاد مختلف الالهة على نصوص المعاهدة في سنة 1278 ق.م.

ويروي لنا المؤرخ بوليبيوس[3] أهم بنود المعاهدة التي فرضتها روما على قرطاجة وهي «أن يحتفظ القرطاجيون بما كانوا يمتلكون من مدن في شمال افريقيا قبل دخولهم في حرب مع الرومان وأراضيهم القديم وقطعان ماشيتهم وعبيدهم وكل ممتلكاتهم وابتداء من هذا اليوم لا تقوم عداوة ويمكنهم أن يعيشوا طبقا لقوانينهم وعاداتهم ولن تفرض عليهم أي حاميات.»

ثم يأتي بعد ذلك ما تطلبه روما من قرطاجة «يقوم القرطاجيون بدفع تعويضات للرومان عن كل الأضرار التي تسببوا فيها أثناء هجوماتهم في فترة الهدنة، وعليهم أن يسلموا للرومان كل من وقع لديهم في الأسر منذ بداية الحرب البونية الثانية، وأن يسلموا جميع سفنهم الحربية ولا يحتفظوا الا بعشرة، وأن يسلموا ما لديهم من فيلة ويحرم عليهم أن يشنوا حربا خارج الأراضي الافريقية أو في داخلها الا بعد موافقة الرومان، وان يردوا الى ماسينيسا كل ما ينتمي له ولاجداده من بيوت وأراض ومدن.. الخ. في داخل المناطق التي ستحدد فيما بعد ويضمنون تموين الجيش الروماني بالمؤن لمدة ثلاثة أشهر ، ويدفعون مرتباتهم حتى يتم استلام رد من روما بخصوص هذه المعاهدة ، كما يدفعون للرومان مبلغا وقدره عشرة آلاف تالنتوم لمدة خمسين عاما.... ».

(1) «Ad amictiam» et en «Egyptienne»: Brt, cf, Kitchen, Ugarit Forschunqen, II (1979), p, 453-464.
(2) D.-Vandier, l'Egypte des origines à..., p. 426-427.
(3) Polype, Histoire, 8 XV (18), p. 779.

تلك هي العبارات التي قرأها (سكيبيو الاميلي على مندوبي قرطاجة وكان ملكهم حنا بعل قد بلغ الخمسة والأربعين من عمره، كما استند ماسينيسا على الفقرة الأخيرة من هذه المعاهدة في توسيع رقعة مملكته على حساب قرطاجة ، فقامت روما بضم بعض الأراضي التابعة لقرطاجة الى ممتلكات ماسينيسا مكونة ولاية (افريقيا) ومن ذلك التاريخ بدأت الحضارة النوميدية تزدهر منذ سنة 193 ق.م. وفي سنة 148 ق.م. توفي مسناسا، وقبل وفاته كلف صديقه سكيبيو الاميلي بأن يعهد لابنائه من بعده بحكم نوميديا، فقسم شؤون المملكة على النحو التالي: عهد لابنه الأكبر ميسيبسا أو مكوسن بالشؤون الادارية، وعهد الى جولوسا بالجيش، وعهد الى مستابنال بالقضاء ، وتؤكد اللوحة 63 من لوحات الحفرة والمكتوبة بالخط البوني هذا التسلسل الوراثي[4].

وكان مسيبسا له ولدان اذربعل وحيمبسال، كما كان مستانبال له ابن من احدى المحظيات وهو يوغرطة، ولقد اقتسم هؤلاء الثلاثة العرش بعد وفاة مسبسا في سنة 118 ق.م. ، ولكن يوغرطة دخل في صراع مع منافسيه، وتخلص منهما فلجأ اذربعل الى روما يستنجد بها ويحاول اقناع السناتو بمساعدته، فأرسلوا السفراء الى يوغرطة الذي استولى على (كيرتا) قسنطينة، وقتل اذربعل والجالية الايطالية الموجودة بها فأدى ذلك الى اشتعال نار الحرب بين روما وبين يوغرطة والتي ابدع الكاتب (سالوست) في وصفها فخاض يوغرطة حربا للعصابات ضد روما من سنة 112 الى سنة 105 ق.م.، انتهت بأسر هذا الأمير المغتصب في سنة 105 ق.م.، وقتل في سجنه في روما وأبعدت روما أبناءه عن العرش وعينت (جودا) الذي كان ابنا لمستانبال خلفا له. ثم خلفه حيمبسال الثاني من بعده واستمر في الحكم حتى سنة 60 ق.م.، ثم خلفه (يوبا) الأول من سنة 60 حتى سنة 46 ق.م، ومن بعده يوبا الثاني من سنة 25 ق.م، الى 23 بعد الميلاد، الذي انتقل بعاصمة البلاد الى يول أو قيصرية (شرشال)، وكان هذا الأخير قد تربى في روما وكان محبا للثقافة الاغريقية وهناك تعرف على (كليوباترا القمر) ابنة كليوباترا السابقة ملكة مصر، فتزوجها وأقاما في قصرهما في يول أو قيصرية.

(4) J. Mazard, Corpus nummorum..., pp. 27-29.

الخلاصة :

بعد هذا نلخص الدور الذي أدته روما في كل هذه الأحداث التاريخية حيث أنها أولا أرادت القضاء على منافستها الأولى في حوض البحر المتوسط وهي قرطاجة، فكان لها ذلك بتدميرها في سنة 146 ق.م، ثم تحالفت مع ماساناسا بعض الوقت وأخيرا انقلبت على أحفاده فقتلت يوغرطة في سجنه بروما، فقضت بذلك على بذرة الحضارة البونية والنوميدية التي لو قدر لها وازدهرت لانقلبت موازين القوى في العالم العربي ولسادت حضارة الشرق على حضارة الغرب هذا لو كان قدر لحنا بعل أن ينتصر على الرومان في معاركه في ايطاليا واسبانيا وشمال افريقيا.

حول شخصية عقبة بن نافع الفهري(*)

عبد الحميد حاجيات

لقد حظي عقبة بن نافع الفهري بشهرة كبرى، لم يحظ بها الا القليل من أبطال التاريخ الاسلامي فقد أولته الجماهير، منذ بداية العصر الاسلامي، احتراما وتقديرا لم توله الا لكبار الأولياء والصالحين، فسمته «عقبة المستجاب». كما عني به المؤرخون والقصاص، فأوردوا ما تناقله الرواة من الاخبار عنه، وحدثوا عن أعماله أكثر مما حدثوا عن أعمال غيره من قادة الفتح الاسلامي.

غير ان معظم ما وصلنا من تلك الأخبار يحمل طابعا قصصيا، يجعله في كثير من الأحيان أقرب الى الأسطورة منه الى التاريخ. ولا شك ان ما تتضمنه بعضها من المبالغة والغلو ينعكس على تصورنا لشخصية عقبة وللدور الذي قام به في حركة الفتح، ويؤدي أحيانا الى التناقض والغموض.

وحديثنا عن شخصية عقبة بن نافع لا يهدف الى تمجيد هذا القائد الشهير، وتعداد بطولاته ومفاخره. وانما غرضنا هو محاولة تسليط بعض الأضواء على أعماله، ووضعها في اطارها السياسي، واستنتاج أبعادها الحقيقية، مما قد يساعد على الحد من ذلك التناقض، وكشف بعض الغموض في تصورنا لشخصية عقبة.

ومن جهة أخرى، فمعالجتنا لهذا الموضوع تنحصر في استخلاص بعض جوانب شخصية عقبة من الاخبار التي أوردتها المصادر التاريخية، ومن أعماله وتصرفاته التي